الرياض

عزوفة في برلمان الأمير عبدالله!

محمد رضا نصر الله

أحسب أن جمهور المشاهدين السعوديين، استمتعوا ليلة أمس بمعزوفة وطنية رائعة الألحان، عرضها التلفاز وقد انسابت في مجلس الأمير عبدالله ولي العهد المحبوب، على امتداد ساعة من الزمن، سيتوقف أمامها التاريخ طويلاً.. لأنها سمحت للفسيفساء الوطني الجميل، أن يفجر روعته المخبوءة في سحناتنا السمر التي لوحتها لوافح الهجير.. ويطلق عنان محبته للوطن، وقد توارت وراء ما أشيع في السنوات الأخيرة من أوهام العصبية والطائفية والغلو..

لقد كشف الشيخ صالح الحصين رئيس مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني عن احصائيات مدهشة - وأنا شخصياً أثق فيما قال - عبرت عن تواؤم وطني في الثوابت والمشتركات، رغم تمايز ألوان الطيف - وهل وجدتَ في التاريخ وطناً من الأوطان نقياً من التعددية والاختلاف؟- !

إن سنّة الله اقتضت أن يقوم الاجتماع الإنساني على مبدأ التدافع بين مختلف بني البشر، في المزاج والثقافة والرؤية، حتى تتحقق عمارة الكون، وقد ألقى سبحانه وتعالى الأمانة على أعظم خلقه.

@@إذن فمن الطبيعي أن يبدو وطننا بهذه التعددية، فمن نجد انطلقت السلفية الدينية القائمة على حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، للرجوع إلى منابع الدين في العصر الراشدي.. وفي الحجاز اقتضت خصوصيته الثقافية العالمية، ان يقرأ الإسلام من وجهة نظر الإمام مالك مع صبغة صوفية، وفي الأحساء والقطيف امتد من وراء القرون تأثير المذهب الشيعي الإثنا عشري آتياً من المدينة المنورة والكوفة، ليمتد من هذه الأقطار وأخرى عربية كلبنان إلى إيران.. وفي نجران هناك شيعة اسماعيليون متأتين من هنا وهناك.

..هذه الجغرافيا المذهبية لا يكاد بلد من البلدان، يخلو منها بقدر وآخر.. ومع ذلك ظل دائماً الانشداد المعاصر- مع قيام الدولة الحديثة -إلى انتماء وطني واحد، كافلاً أمن المواطن وحريته..

في المملكة الثالثة حين بدأت مع قائد وحدتها العظيم الملك عبدالعزيز، حدث مثل هذا.. وما ان وضعت الحرب أوزارها بعد معركة السبلة ،حتى انتظى الملك خطاباً بتاراً، حين خاطب مخالفيه من الغلاة والمتعصبين، وقد لمع اعترافه بالتعددية المذهبية، التي رأى فيها ضماناً لأمن المجتمع، أو قل رحمة للعالمين، حسب قول رسول الإسلام ونبي المسلمين محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام "اختلاف أمتي رحمة" مستنداً على قول الباري عز وجل {إنا جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم}.

@@في مجلس الأمير عبدالله محفوفاً بأخوته الكرام، انتهج نفس النهج.. لم يحد عن درب أبيه.. وأنا شخصياً أعلم عن يقين ماذا فعل الملك المؤسس، حين أرسل عالماً نجدياً إلى جدي عبدالله بن نصر

الله معتمده في القطيف، طالباً منه ترتيب لقاء مع علمائها، ليخلص معهم على ثوابت العقيدة وأصولها التوحيدية.. وهكذا كان.

وهو اليوم يتكرر في برلمان ولي العهد.. يقف علماء من نجد وتهامة والحجاز ومن الأحساء والقطيف، ومن نجران.. وأيضاً أكاديمي بارع ورجل أعمال ماهر، يعزفون في كلامهم لحناً وطنياً متعدد النغمات، لكنه موحد اللحن.. مختلف المقامات والكلمات.. أي نعم.. لكن مضمونه واحد.. هو الحب للأرض والخوف على مستقبل الأجيال - كما عبر صادقاً الدكتور عبدالله الغذامي - .. اننا لن نرضى بوحدتنا الوطنية بديلاً، كما أجمع أعضاء اللقاء التالي.. وبقيادته المستجيبة لمطالب مواطنيها قيادة أخرى.. ولن نتخلى عن ثوابت الدين ووحدة الوطن.. متى ما استمر هذا التلاحم خلاقاً باللغة المعبرة ،التي جرت على لسان نائب الملك، وتجسدت في كلمات خطباء في المؤتمر الوطني الثاني..

@@ان هذا التلاحم.. ونحن بحاجة إلى مزيد من جرعاته المنعشة بالمكاشفة الصادقة، والمحاورة الهادفة، والإجراءات الاصلاحية المتدرجة الحاسمة.. هو ما سيحمي تجربتنا الوطنية من غوائل التدخلات الأجنبية.. لا يعني هذا أن نصم آذاننا ونغمض أعيننا، عما يجري في عالم العولمة والأحداث الدولية من متغيرات معرفية، وتطورات اقتصادية.. وإنما بهذا التلاحم الوطني بين القيادة والشعب، ينبغي أن يجري على مسار المشاركة الشعبية، وإطلاق طاقات المجتمع الأهلي الصامتة، إلى حيث يقوم المجتمع المدني عوناً وسنداً، لدولة عصرية موحدة لكياننا السعودي بأطيافه المتنوعة كقوس قزح.. أجمل لوحة في يوم مطير، يشي بآمال التجدد والإصلاح.

..ودمت أيها الأمير الوطني في يوم برلماني استثنائي مشهود. نتطلع إلى أن تتمثله في مؤسسات الدولة وشرائح المجتمع، منتبذين ثقافة التمييز والتعصب والإقصاء مكاناً قصياً، مترسمين وطنيتك الفذة، وحسك الإنساني النبيل.